اخوة يوسف عليه السلام اذ اي حين اجمعوا امرهم اي عزموا على امر واحد وهو القا
يوسف في الجب وهم يمكرون اي يدبرون الاذي في الحيلة بيوسف والمعنى ان هذا النبا
غيب لانه صلى الله عليه وسلم ما طالع الكتب ولا تلمذ لاحد ولا كانت البلدة بلدة العلما
واتيانه صلى الله عليه وسلم بهذه القصة الطويلة على وجه لا يقع فيه تحريف و لا
غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن غير ان يقال انه حاضر معهم لابد وان يكون معجزا وقوله
تعالى وما كنت لديهم ذكر على سبيل التهكم به لان كل احد يعلم ان محمدا ما كان معهم
ولما سالت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو حيان عن ابن
الانباري عن قصة يوسف عليه السلام فنزلت مشروحة هذا الشرح الشافي
مبينة هذا البيان الوافي فامل النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك سبب
اسلامهم فخالفوا تاميله عزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس اي اهل مكة ولو
حرصت على ايمانهم بمومنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وكان ذلك اشارة
الى ما ذكره الله تعالى في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء
ثم نفى عنه التهمة بقوله تعالى وما تسالهم عليه اي هذا الكتاب الذي اوحيناه اليك
واغرق في النفي فقال من اجر حتى يكون سوالك سببا لان يتهموك او يقولوا لولا
انزل عليه كنز ليستغني به عن سوالنا ثم نفى عن هذا الكتاب كل غرض دنيوي
بقوله تعالى ان هو الا ذكر اي عظة من الله تعالى للعالمين عامة ثم ان الله تعالى
اخبر عنهم انهم لما تاملوا الايات الدالة على توحيده تعالى بقوله تعالى وكاين اي
وكم من اية دالة على وحدانية الله تعالى في السموات كالنيرين وساير الكواكب والسحاب
وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى من اية من الجبال والشجر والدواب وغير ذلك
مما لا يحصيه الا الله تعالى في السموات اي يشاهدونها وهم عنها معرضون اي
لا يتفكرون فيها فلا عجب اذا لم يتاملوا في الدلايل على نبوتك فان العالم مملوء من دلايل
التوحيد والقدرة والحكمة ثم انهم يمرون عليها ولا يلتفتون اليها ولما كان ربما
قيل كيف يوصفون بالاعراض وهم يعتقدون ان الله تعالى فاعل تلك الايات
بين ان اشراكهم سقط لذلك بقوله تعالى وما يومن اكثرهم بالله حيث يقرون بانه
الخالق الرازق الا وهم مشركون بعبادتهم الاصنام قال تعالى ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون شريكا في العبودية وعن ابن عباس ان
هذه الاية نزلت في تلبية مشركي العرب كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك
الا شريكا هو لك تملكه وما ملك يعنون الاصنام وعنه ايضا ان اهل مكة قالوا الله
ربنا وحده لا شريك له والملايكة بناته فلم يوحدوا بل اشركوا وقال عبدة الاصنام
ربنا وحده والاصنام شفعاونا عنده وقالت اليهود ربنا وحده وعزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال عبدة الشمس والقمر ربنا الله وحده
وهولاء اربابنا وقال المهاجرون والانصار ربنا الله وحده لا شريك له ولما كان
اكثرهم لا ينقادون الا بالعذاب قال تعالى افامنوا انكار فيه معنى التوبيخ

كالنيرين وساير الكواكب والسحاب وغير ذلك والارض من الجبال والشجر والدواب وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى يمرون عليها صح

والتهديد

والتهديد ان تاتيهم في الدنيا غاشية اي نقمة تغشاهم وتشملهم من عذاب الله
اي الذي له الامر كله كما اتى من ذكرنا قصصهم من الامم او تاتيهم الساعة بغتة اي فجاة
وهم عنها في غاية الغفلة وقوله تعالى وهم لا يشعرون اي بوقت اتيانها قبله كالتاكيد
لقوله بغتة ولما كان صلى الله عليه وسلم مبلغا عن الله تعالى امرهم ان يامرهم باتباعه
بقوله تعالى قل يا اعلى الخلق واصفاهم واعظمهم نصحا واخلاصا هذه اي الدعوة
الى الله تعالى التي ادعو اليها سبيلي اي طريقتي التي ادعو اليها الناس وهي توحيد
الله ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه الطريق المودي الى ثواب الجنة ادعو
الى الله اي الى توحيده والايمان به على بصيرة اي حجة واضحة وقوله انا تاكيد
للمستتر في ادعو على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة وقوله ومن اتبعني
اي ممن امن بي وصدق بما جاء في عطف عليه لان كل من ذكر الحجة واجاب عن الشبهة فقد
دعا بمقدور وسعه الى الله وهذا يدل على ان الدعاة الى الله انما يحسن ويجوز مع هذا
الشرط وهو ان يكون على بصيرة مما يقول ويقين فان لم يكن كذلك والا فهو محض الغرور
وقال صلى الله عليه وسلم العلما امنا الرسل على عباد الله من حيث يحفظون ما يدعون
اليه فاثبت في جميع القرا يثبتون اليا وقفا ووصلا لثبوتها في الرسم وسبحان الله
اي وقل سبحان الله تنزيها له تعالى عما يشركوا به وما انا من المشركين اي الذين
اتخذوا مع الله ضدا وندا ولما قال اهل مكة للنبي صلى الله عليه وسلم هل لا بعث الله
ملكا قال تعالى وما ارسلنا من قبلك الى المكلفين الا رجالا اي مثل ما انك رجل لا
ملايكة ولا اناثا كما قاله ابن عباس ولا من الجن كما قاله الحسن نوحي اليهم
بواسطة الملايكة مثل ما يوحي اليك وقرا حفص قبل الواو بالنون وكسر الحا
والباقون باليا وفتح الحا وضم الهاء من اليهم حمزة على اصله وكسرها الباقون
من اهل القرى اي من اهل الامصار والمدن المبنية بالمدر والحجر ونحوه
لا من اهل البوادي ومكة ام القرى لانها تجمع جميع الخلايق لما امروا به من حج
البيت وكان العرب كلهم ياتونها فكيف تعجبوا في حقك قال الحسن لم يبعث
الله نبيا من البادية لغلظهم وجفايهم ثم هددهم سبحانه ونقل بقوله تعالى
افلم يسيروا اي هولاء المشركون المكذبون في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من المكذبين الرسل والايات فيحذروا تكذيبك ويعتبروا بهم
وبما حل بهم من عذابنا ولما ان الله تعالى نجى المومنين عند نزول العذاب بالامم
الماضية المكذبة وما في الاخرة خير لهم بين ذلك بقوله تعالى ولدار الاخرة اي
ولدار الحال الاخرة او الساعة الاخرة او الحياة الاخرة خير وهي الجنة
للذين اتقوا الله بين حياة اهون ما لها الموت وان فرض فيها من الحال انها امتد
الف عام وكان عيشها كله رغدا من غير الم افلا تعقلون فيستعملون عقولهم
فيتبعوا الداعي الى هذا السبيل الاقوم وقرا نافع وابن عامر وعاصم بالتا على الخطاب
لاهل مكة والباقون باليا على الغيبة لهولا المشركين المكذبين وقوله تعالى

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)